باب الحاء

الحمام:

هو عند العرب ذوات الأطواق، كفاخِتة [١]، وقمارى [٢]، وساق حُرّ [٣] ، وقطا [٤] ، وورشان [٥] ، وعند الشافعى ما هب وهدر، والحمام المعروف عرفا نوعان: برّى وهو أزرق أغبر كثير النفور، وأهلى يألف البيوت، وهو مختلف الألوان والأشكال [٦] ، وألف فيه ابن عبد الظاهر كتابا بديعا سماه" تمائم الحمائم" [٧] . وقال ابن سراج [٨] : وأصوات الحمام تكون على ما فى نفس المستمع، فإن سمعها من يطرب، سمّاه غناء، أو من يحزن سماه نوحا.

---

(١) ضرب من الحمام المطوّق، للذكر والأنثى، الجمع: فواخت.

(٢) المفرد: قُمْرى والأنثى قمرية، وهى تقرقر وتضحك كما يضحك الإنسان.

(٣) والساق حر كالقمرى يضحك أيضا، وقيل إنه ذكره.

(٤) ضرب من الحمام، وقيل نوع من اليمام يعيش فى الصحراء، الواحدة: قطاة.

(٥) والأنثى ورشانة، ولحمه أخف من الحمام.

(٦) الدميرى ١/ ٢٣٣ ـ ٢٤٠.

(٧) ابن حجة، الورقة ٢١ ب.

(٨) أورد الصفدى فى شرحه للامية العجم ٢/ ٣٠٣ قول ابن سراج: إنما تكون أصوات الحمام على قضية ما فى نفس المستمع... وإذا سمعها من يحزن سماه بكاء.

قال ابن قاضي ميلة [1] : (من الوافر).

لقد عرض الحمام لنا بسجع
إذا أصغى لـه ركب تلاحى
زها قلبُ الخلىّ فقال غَنّى
ويرّح بالشَّجِىّ فقال : ناحا

والسجع والتغريد المطرب منسوب للكل.

ومن وصف ذوات الأطواق، وطيب تغريدها، ما قاله الحاجرى [2] : (من الكامل).

إنى لأعذر فى الأراك حمامة الـ
شادى كذلك يفعل العشاق
حكم الغرام الحاجرى بأسرها
فغدت وفى أعناقها الأطواق [3]

وقال جهم: (من مجزوء الوافر):

مطوقة كساها اللـ
ـه ثوبا لم يكن ذهبا

---

(١) محمد بن محمد التنوخى، أبو عبد الله، من شعراء المائه الخامسة، وميلة تقع بين بجاية وقسنطينة فى الجزائر، الوفيات ٥/ ٢٠٧، وابن بسام، الذخيرة ٥٢٩.
والبيتان فى الغيث المسجم فى شرح لامية العجم للصفدى ٢/ ٣٠٣.

(٢) حسام الدين عيسى بن منجر الحاجرى الإربلى، المتوفى سنة ٦٣٢ هـ، الوفيات ٣/ ٥٠١ ـ ٥٠٥. والبيتان فى عنوان المرقصات والمطربات ٥٣. وديوان الحاجرى ١٧ ط محمود الحلبى بالأزهر.

(٣) المرقصات والمطربات... أعناقها أطواق.

مفجعـــــة بكـــــت شـــــجوا

فـــــبت لـــــشجوها قـــــصبا

علـــى غـــصن يميل بـــه

جـــنوب مـــرة وصـــبا

وقال قيس المجنون[1] : (من الطويل).

خليلـيّ هـل بالشام عـين حـزينة

تبكـى علـى نجـد لعلّـى أعينُها

هـل أسـلمها الـباكون إلا حمامـة

مطـــوقة بانـــت وبـــان قـــرينُها

تجاوبهـا أخـرى علـى خُيـزرانه

يكـــادُ يَدنُّـــيها مـــن الأرض ليـــنها

وقال شقيق الأسدى[2] : (من الطويل).

لقـد هـيجت منـى حمامـة أيكـة

مـــن الـــوجد وجـــدا كـــنت أكـــتمه

فقلـت تعـالى نبك من ذكر ما خـلا

ويذكـر مـنه مـا فـسروا مـا بـيدى

---

(١) هو قيس بن الملوح بن مزاحم، من بنى عامر بن صعصعة، شاعر غزل سكن البادية عمره، وتوفى فى آخر دولة بنى أمية. والأبيات فى ديوانه ٢٧٠ تحقيق عبد الستار أحمد فرج ـ مكتبة مصر.

(٢) ابو وائل بن سلمة الأسدى، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلْقَه، المتوفى سنة ٨٣ هـ الوفيات ٢/ ٤٧٦، والحاشية.

فإن تسعديني ندرّ عبرتنا معاً

وإلا فإني سوف أسفحها وحدى

وقال بعضهم: (من الوافر).

أحقا يا حمامة بطن واد

بأنك في بكائك تصدقينا

غلبتك في السبكاء فإن ليلى

تواصله وأنك تهجعينا

وأني إن بكيت حقا

وأنك في بكائك تكذبينا

وقال آخر: (من الطويل).

إلام فيض الدموع وإنني

بفيض الدموع الجاريات جدير

أيبكي حمام الأيك فقدا لإلفه

واصبر حتى انني لصبور

وقال القيراطي: (من مجزوء الكامل).

يا هل بكيت كما بكت

وُرْق الحمائم في الغصون

هتفت سحيراً والربى

للقطر رافعة الجفون

فكأنهـــا صـــاغت علـــى

شـــجوى شـــجا تلـــك اللحـــون

قـــد ذكـــرت عهـــدا مـــضى

للأنـــس مـــنقطع القـــرين

فتـــصرمت أيامهـــا

وكأنهـــا رجـــع الجفـــون

وقال التكريتي [1] : (من البسيط).

باتـت تـنوح علـى غـصن تـنوح بـه

ريـح الـصبا فكـأن الغـصن نـشوان

حزينة الصوت تشجو قلب سامعها

قـــريحة قلـــبها المفجـــوع حـــزّان

وقال الحلي[2]: (من البسيط).

وبـــشرت بـــوفاة اللـــيل ســـاجعةٌ

كأنهـا فـي غدير الـصبح قـد سمحـت[3]

مخـضوبة الكَـفِّ لا تـنفكُّ ناثحـةً

كـــأن أفـــراخَها فـــي كفهـــا ذبحـــت

---

(١) لعله الصاحب تقي الدين توبة التكريتي، المتوفى سنة ٦٩٨ هـ انظر النعيمي، المرجع السابق، ٢/ ٢٣٧.

(٢) صفي الدين الحلي، عبد العزيز بن سرايا بن علي البنسي، الشاعر المشهور المتوفى سنة ٧٥٠ هـ الفوات ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٥٠، انظر الديوان ص ٩٤ط بيروت ١٨٩٢.

(٣) وفي الديوان: قد سبحت.

وقال ابن تميم: (من الكامل).

وحمائم قد قصرت عن سجعها
فوق الغصون عبارة الخطباء
كررت حرف الراء في أسجاعها
لتغيظ منه واصل بن عطاء[1]

وقال ابن الساعاتي[2]: (من السريع).

يا ابنة الأغصان لو ذقت النَّوى وعرفت الدمع منا والضنى[3]
لخلعت الطوق واعتفت الأسى ولما عانقت منها فننا

وقال ابن عبد الظاهر: (من الخفيف).

نسب الناس للحمامة حزنا وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطرقت الجيـ ـد وغنت وما الحزين كذلك

وهنا حكاية بديعة هي أن المنازي[4] وفد على أبي العلاء المعري بالشام، فأنشده المنازي، وأبو العلاء لا يعرفه، وهو أعمى: (من الوافر).

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه[5] مَضاعَفُ الغيثِ العميم

---

(١) وهو واصل بن عطاء الصوفي، وذلك إشارة إلى ما اشتهر به من تجنب الراء في كلامه وخطبه ليخفي لثغته.

(٢) ابن الساعاتي هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن الخراساني المعروف بابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٩م.

(٣) الديوان ٢/ ٣٢: فيها والضنى.

(٤) أحمد بن يوسف السليكي، أبو نصر المنازي، الشاعر، المتوفى سنة ٤٣٧ هـ الوفيات ١/ ١٤٣ ـ ١٤٥.

(٥) جاءت "وقاهُ" في الوفيات، المرجع السابق.

نـــزلنا روضـــةُ فحـــنّا عليـــنا حنوّ المرضعاتِ على الفطيم[1]
وأرشـــفَنَا علـــى ظمـــأ زُلالاً ألـــذّ مـــن المُداومـــة للـــنديم
يَـصُدُّ الـشمسَ أنّـى واجهتـنا فيحجـــبها ويـــأذن للنّـــسيم

فقال له المعرى وهو لا يعرفه: أنت أشعر من بالشام! ثم بعد مدة، رحل أبو العلاء إلى بغداد، فدخل عليه المنازى، وهو لا يعرفه، فأنشده: (من الوافر).

لقـد عـرض الحمـامُ لـنا بـسَجْع إذا أصْـغَى لـه ركْـبٌ تلاحـى
شجا قلـبَ الخلـيِّ فقيل غنّـى ويَـسرّح بالـشّجيّ فقـيل ناحِـا
ضعيف الصّبر عنك وإن تقاوَى وسـكران الفـؤادِ وإن تـصاحَى
كذاك بنو الهوى سكرى صُحَاةٌ كأحـداق المَهـا مَرْضَـى صحاحا

فقال له أبو العلاء: ومن بالعراق!

والهيام هو الحمام الوحشى[2]. والكلام الآن فيما يألف البيوت. وفى حديث[3] أن المصطفى كان يعجبه الأترج والحمام الأحمر[4]. وطبع الحمام أنه يطلب وكره وإن أرسل من ألف فرسخ، ويحمل الأخبار، ويقطع المسافة البعيدة فى مدة قريبة ومنه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ فى

---

(١) ثمرات الأوراق فى المحاضرات لابن حجة ١٩: حنو الوالدات... المطبعة الوهبية ١٣٠٠ هـ.

(٢) ابن حجة، المرجع السابق، ٢٣ أ.

(٣) رواه الطبرانى عن جبير بن عبد الله عن أبيه عن جده.

(٤) وكان فى بيته حمام أحمر اسمه وَرْدَان.

يوم. وإن صيد وغاب عن وطنه عشر سنين، وانفلت عاد إليه، ولم ينسه. ولم تزل سباع الطير تطلبه، والشاهين أشد طلبا، ويخافها كلها. وهو أسرع الطير طيرانا، ويعتريه إذا رأى الشاهين ما يعترى الحمار إذا رأى الأسد، والشاة إذا رأت الذئب، والفأر إذا رأى الهر. قال ابن زهير[1] : ولم أر شيئا من رجل وامرأة إلا رأيت مثله فى الحمام، فإن الذكر لا يريد غير أنثاه، وكذلك هي، إلى أن يفقد أحدهما، وإن الأنثى تتزين للذكر عند إرادته إياها، وإن حمامة تقمط حمامة، وذكرا يقمط ذكرا، وأنثى تقمط ذكرا وعكسه، لكن لم يتزاوجا، وإنه ليس فى الحيوان من يستعمل التقبيل عند إرادة السفاد سواه[2].

فصل:

أول من اتخذ حمام الرسائل: نور الدين[3] الشهيد لأمته أو مملكته، فجعل فى طيه، وحضّن حماما تحملها إلى الآفاق فى أسرع وقت. وما أحسن ما قاله القاضي الفاضل: الحمام ملائكة الملوك. وسماها بعضهم أنبياء الطير، لأنها مرسلة بالكتب.

وفيها قال القيروانى[4]: (من الكامل).

خضرا تفوت الريح فى طيرانها يا بعد بين غدوها ورواحها

---

(١) فى الأصل: ابن زهر. تحريف. وهو المثنى بن زهير. انظر عيون الأخبار ٤/ ٩١. نقلا عن الجاحظ المتوفى قبله.

(٢) الدميرى ١/ ٢٣٥، وابن حجة، ٢٤ ب.

(٣) نور الدين بن زنكى الشهيد بن آقسنقر، اتابك الموصل ثم سلطان مصر والشام.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى، المتوفى سنة ٤٥٣ هـ.

تأتي بأخبار الغدوّ عيشة لمسير شهر تحت ريش جناحها
وكأنما الروح الأمين بوحيه نفث الهداية منه في أرواحها

وقال ابن الأثير: طالما جارتها الرياح، فأضحت مخلفة وراءها تبكي عليها السحب.

ومما قيل في وصف حمام الرسائل، قول القاضي الفاضل سحبت أذيال البلاغة على سحبان وائل[1]، فعارضتها في ليلة حُمد سُراها عند الصباح[2]. وقال المشار إليه، وقد دخل في أبواب بلاغتها: سبحان الفتاح وقد أوصلت هنا شمل العطفتين، ليتنعكه التأمل في جنى الجنتين، ويتنزه في حدائق الروضتين، ويطرب لسجع حمام الدوحتين.

قال الفاضل: سرحت لا تزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحة، وتجهز جيوش المقاصد والأقلام أسلحة، وتحمل من الأخبار ما تحمله الضمائر، وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر، وتزوى لها الأرض، حتى ترى ما تبلغه ملك هذه الأمة، وتقرب منها السماء، حتى ترى مالا يبلغه وهم ولاهمة، وتكون مراكب الأعراض والأجنحة قلوعا، وتركب الجو بحرا يصفق فيه هبوب الريح موجا

---

(١) ضرب به المثل في البلاغة فقيل: أبلغ من سحبان وائل. انظر المستقصى ١/ ٢٨، نثر الدر ٦/ ١٠١، العقد الفريد ٣/ ٧٠.

(٢) يشير إلى المثل (عند الصباح يحمَدُ القومُ السُّرى) فصل المقال ٣٣٤، نثر الدر ٦/ ٢٢٣.

مرفوعا، وتعلق الحاجات على أعجازها، ولا تفوق الإرادات عن إنجازها. ومن بلاغات التطابق، استفادة ما هى مشهورة به من السجع، ومن رياض كتبها ألفت الريضات، فهى إليها دائمة الرجع، وقد سكنت النجوم فهى أنجم، واعدت فى كنانتها فهى للحاجات أسهم، وقد أخذت عهود الأمانة فى رقابها أطواقا، وطويها من أذنابها أوراقا، فصارت خوافى، وراء الخوافى، وخطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافى، وكادت تكون ملائكة لأنها رسل إذا نيطت بالرقاع صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وقد باعد الله بين أسفارها وقربها، وجعلها طيف خيال اليقظة التى صدق العين ما كذبها. ترغم أنف النوى بتقريب العهود، وتكاد العيون بملاحظتها، تلاحظ أنجم [1] السعود، وهى أنبياء الطيور لكثرة ما تأتى به من الأنباء، وخطباؤها لأنها تقوم على منابرها [2] مقام الخطباء.

وقال أبو القاسم، شيخ القاضى الفاضل: وأما الحمام الرسائل فهى من آيات الله، المستنبطة الألسن بالتسبيح، العاجز عن وصفها إعجاز البليغ الفصيح، فيما تحمله من البطائق، وترد به مسرعا من الأخبار الواضحة الحقائق، وتعاليه فى الجو محلقا عند مطارده وتهديه، على الطريق التى علمها ليأمن إدراك فوت الإدراك وأخطاره، ونظره إلى

---

(١) ثمرات الأوراق لابن حجة ٥١: نجم السعود...

(٢) ثمرات الأوراق لابن حجة ٥١: منابر الأغصان...

المقصد الذى يسرح إليه من علق، ووصلوه فى أقرب الساعات بما يصل به من البريد فى أبعد الأيام من الخبر الجلل، ومجيئه معادلا لرؤوس السفار مسامتاه، وإيثاره بالمتجددات، فكأنه ناطق، وإن كان صامتا. وكونه يمضى على ظهر المركوب، ويرجع حاملا على ظهره للمركوب، ولا يعرج على تذكار الهديل ولا تكرار الهدير، ولا يسأم من الدأب فى الخدمة زائدا على التقدير، وفى تقدمة البشائر، يكون المعنى بقولهم أيمن طائر، ولا غرو إن فارق رسل أهل الأرض فاتهم وهو مرسل والعنان عنانه، والجو ميدانه، والجناح مركبه، والرياح موكبه، وابتداء الغاية شوطه، والشوق إلى أهله سوطه، مع أمنية ما يحدث للمنتاب السفار، ومحبآت القفار من مخارق الطوارق، وطوارق المخارق، ومتالف الغوائل، وغوائل المتالف، إلا ما يشذ من اعتراض جارح جارح، واقتضاض كاسب كاسر فتكفيه سعادة الدولة تأميمه، وتصد عن تصميمه لأنه أحد جيشها من الطير اللذين يحدثان فى أعدائها هذا بالإنذار العاجل كيدهم فى تضليل، وذاك بما يرى رايتها المنصورة عليهم من تظليل.

وقال عبد الظاهر:

وكم أغنت البرد عن جوف القفر، وكم قدت جيوبها على أسرى الأسرار، وكم أعارت السهام أجنحة فأحسنت بتلك العارية المطار،

وكم قال جناحها لطالب النجاح لا جناح، وكم سرت فحمدت المساء إذا حمد غيرها من السارين الصباح، وكم تاوقت الصبا والجنائب ففارقتها، ولم تحوج المشتاقين إلى امتطاء كاهل الرياح، كم حسب ملك كلا منهما فملك، وكم قال سرحها بمجيئه بها قرة عين لى ولك، وكم أجلت فى الهواء تقلبا، وإذا تغنت الحمائم على الغصون، صمت عن الهديل والهدير تأدبا، وكم دفعت شكا بيقينها، ورفعت شكوى بتبيّنها، وكم أدت أمانة ولم تعلم أجنحتها بما فى شمالها ولا شمالها بما يمينها، كم التفت فيها الساق بالساق، فأحسنت لربها المساق، وكم أخذت عهود الأمانة، فبذت أطواقا فى الأعناق، وبقال ما تضمنه من التطابق، بعد ما تعلق بها فى الرياض من الأوراق نسبق اللمح، وكم استفتح بها بشيرا إذ جاءت بالفتح، تفوت الطرف السابق، والطرف الرامى الرامق. وما تليت سورة البروج إلا وتلت سورة الطارق، كم أنسى مطارها عدو السلكة والسليك، وكم عنيت فى خدمة سلطانها عن العناء، وقال كل منهما لرفيقه: إليك عن الأيك، ما أحوج تصديقهما فى رسالتهما عن الإعجاز بثالث، وكم قيل كل منها: هذا طير فى خدمة أبناء يافث، وكم سرحا بإحسان، وكم طارا فى أفق فأستحقا أن يقال لهما: فارسا سحاب إذا قيل لغيرهما: فارسا رهان، حامله علم لمن هو أعلم به منها، تغنى السفار والسفارة، فلا تحوجهم إلى الاستغناء عنها، تغدو وتروح، وبالسر لا تبوح، فكم عنيت باجتماعها بإلفها غير أنها تنوح، كما سارت تحت أمر سلطانها أحسن السير، وكم أفهمت أن

ملكه سليمانى إذ سخر له منها فى مُهِمَّاته الطير، أسرع من السهام المفرقة، وكم من البطائق مُخَلَّقة وغير مخلقة، وكم ضلت فى كيد، وكم بدت فى مقصورة تصيح فى السنا والسنا، دونها مقصورة ابن دريد.

وقال أبو العلاء المعرى يخاطب حمامة:

يا حمامة طوق من الليل، وبرد من الربيع مكفوف الذيل، أوفت على الأشياء، وقالت للكثيب ما شاء، سمعه غيره مفهوم، لا بالريل ولا بالذموم، كأن سجعها قريض، ومراسله القريض، فقد ينادى بشخصها العود، وبقيدها لا يعود، تبدت شوقا هديلا فات، وأنتج بعض الآفات، وليس الأشواق لذوات الأطواق، ولا عند الساجعة عبرة متراجعة، انها رأت الشرطين[1]، قبل البطين[2]، والرشاء قبل العشاء، فحكت صوت الماء فى تحذير، وأرنت براء دائمة التكرير فقال جاهل: فقدت حميا، وثكلت ولدا قديما، وهيهات يا باكية أصبحت فصدحت، وأمسيت فتناسيت، لاهام، ما رأيت أعجب من هاتف الحمام.

وقال ابن حجة[3]:

شرحت فما سرح العيون إلا دون رسالته المقبولة، وطلبَ السبق فلم يرض معرق البرق سرجاً، ولا استطى صفحته المصقولة وهمز

---

(١) الشرطان من منازل القمر عندما يطلع ينكسر البرد، وتنتج الإبل، وينهك العشب. (انظر نثر الدر ٦/ ٢٩٥، ٣٠١، ٣٠٣).

(٢) البطين: من منازل القمر، يكره العرب المطر فيه لأنه نزر قليل وهو شر الأنواء. نثر الدر ٦/ ٣٠٨.

(٣) رسالة ابن حجة فى وصف حمائم الرسائل فى كتابه: ثمرات الأوراق ٥٢.

جواد التسليم عاريا، فقصر وأمست أذياله بعرق السحب مبلولة، وأرسل فأقر الناس برسالته وكتابه المصدق. وانقطع كوكب الصبح خلفه، فقال عند التقصير: كنت نجابا وعلى يدى مخلق يؤدى ما جاء على يده من الترسل، فيهيج الأشواق، وما برحت الحمام [1] تحسن الأداء فى الأوراق. وصحبناه على الهدى فقال: ما ضل صاحبكم وما غوى. ومن روى عنه حديث الفضل، فعن عكرمة قد روى[2]، يطير مع الهوى لفرط صلاحه، ولم يبق على السر المصون جناح إذا دخل تحت جناحه، إن برز من مقفصه لم يبق لطرح البُرد قيمة، وتنعزل فى تدبيج أوراقه، وتعلق عليه من العين تلك التميمة، ما سجن إلا صبر على السجن، وضيق الأطواق، ولذلك حُمدت علقته على الإطلاق، ولا غنى على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض، ولا أطلق من كبد الجو إلا كان سهما مريشا تبلغ به الأغراض. كم علا فصار بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس، وأمسى عند الهبوط لعين الهلال كالطمس، فهو الطائر الميمون، والغاية السبّاقة، والأمين[3] الذى أودع أسرار الملوك، حَمّلها بطاقة، وهو من الطيور التى خَلاَ لها الجو، فنقرت ما شاء ت من النجوم[4]، والعجماء التى من أخذ عنها

---

(١) المرجع السابق: الحمائم.

(٢) كتب ابن حجة فى هامش كتابه بلوغ المراد، المرجع السابق، الورقة ٢٤ أ، " التورية فى عكرمة مشتركة بين اسم الحمامة وعكرمة الراوى".

(٣) ثمرات الأوراق ٥٢: والأمير...

(٤) المرجع السابق: حبات النجوم...

شرح المعلقات، فقد أعرب عن دقائق المفهوم [1]، والمقدمة والنتيجة لكتاب الخجلى فى منطق الطير، وهى من جملة الكتاب الذى إذا وصل القارئ منه للفتح، تهلل بفاتحة الخير، وإن تصدّر البارزى بغير علم، فقد جمعت بين طرفى كتاب، وإن سألت العقبان عن بديع السجع، أحجمت عن رد الجواب.

رعت النسورُ[2] بقوة جيفَ الفلا ورَعى الذئابُ الشَّهدَ وهو ضعيفُ

ما قدمت إلا وأرتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة، وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له من خير كاتمة، كم أهدت من مخلقها وهى غادية رائحة، وكم حنّت إليها الجوارح، وهى أدام الله إطلاقها غير جارحة، وكم أدارت من كؤوس السجع ما هو أرق من قهوة الإنشاء[3] وأبهج على ظهر المنثور من صبح الأعشى[4] ؛ وكم عامت بحور الغضاء، ولم تحفل بموج الجبال، وكم جاءت ببشارة وخضبت الكفّ، ورمن من تلك الأنملة قلامة الهلال. وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف الخضيب[5] ، وانحدرت كأنها دمعة

---

(١) المرجع السابق: المفهوم.

(٢) ثمرات الأوراق لابن حجة ٥٢، رعت النجوم.

(٣) لابن حجة.

(٤) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء للقلقشندى.

(٥) هى كواكب نيرة فى كوكبة ذات الكرسى، وهى الكف التى ترسم على الاسطرلاب. انظر نثر الدرر ١/ ١٣٢٣، ٣٣٧.

سقطت على خد الشفق، لأمر مريب، وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضّاح ، فصارت بسمو[1] وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح. والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع، ولا برح تغريدها مطربا من البادى والمراجع.

وقال الشريف الموسوى فى الحمام المرسل: (من الكامل).

ومبلّغ الأخبار فى أوقاتها ... للنازحين وإن نأوا بكتاب
يسبى الغزالة والغزال بعطفه ... لمعان برق وانقضاض شهاب
يطوى المسافات البعيدة مثل ما ... تحصى الألوفَ أناملُ الحُسّاب

وقال فى الأحمر المسرول: (من الطويل).

وأحمر فى برج الحمام كأنه ... من الأطلس الرومى سُربِل سربالا
رأى الشفق الشرقى نعته ... فألبسه قميصا وسروالا

وقال فى الأصفر: (من المنسرح).

وأصفر من الحمام تحسبه ... كأس عقار صفراء يلتهب
من عجب سبق للرياح إذا ... ما طار فيها وريشه ذهب

وقال فى الأبيض: (من الكامل).

يحكى وقد فتن الحمائم أبيض ... خلع الصباح عليه خير شعار
نجما يشبّه بالحمام فطار فى ... دهم وفى غبر كشعلة نار

---

(١) ثمرات الأوراق ٢٥ : بسمو ها...

وقال فى الأبلق: (من الرجز).

وأبلق من الطير لا ينكره ذو الحجا قميصه مسقم بين الصباح

فهذا ما فيه قيل، والكلام فيه كثير؛ وليس فى الحيوان من يقبّل عند إرادة التفاد، سوى الحمام والآدمى. وهو عفيف، يجر ذيله على إثره للستر، ويحرص على إخفائه. ويسفد لتمام ستة أشهر، والأنثى تحمل أربع عشريوما، وتبيض ثنتين، يخرج من الأولى ذكر، ومن الثانية أنثى، وبينهما يوم وليلة. والذكر يحضن البيض فى النهار، والأنثى فى الليل. وإذا أبت الدخول على بيضها ضربها الذكر، وأكرهها. وإذا خرج الفَرْخ من البيض، مضغ الذكر ترابا ملحا، وأطعمه له. وزعم أرسطو أنه يعمر ثمانين سنة. وقال الثورى: اللعب به من عمل قوم لوط،ومن فعله لم يمت حتى يفتقر. ولا شىء أبله من الحمام، يؤخذ من تحته فيذبح، فيعود لمحنه، ويفرخ فيه.

وقال المصطفى[1] لصحبه: إن استطعم أن تكونوا بلهاء فى الله كالحمام، فافعلوا.

ومن النوادر العجيبة أن الإمام الرازى[2]، جاء يوما للتدريس، فجاءت حمامة يتبعها غراب يريد أن يخطفها، فسقطت فى حجر الأمام، فأنشد بعض الحاضرين ارتجالا: (من الكامل).

---

(١) روى أحمد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه: "إن استطعتم أن تكونوا بلهاء فى الله مثل الحمام، فأفعلوا"

(٢) الإمام فخر الدين الرازى الشافعى، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ والموت يلمع من جناحى خاطف
من نَبْأ الورقاء أن جنابكم ملجـــأ للخائـــف

وفى المثل: آمن من حمام الحرم[1] ؛ وآلف من حمام مكة[2] وتقلدها طوق الحمامة [3] ،يكنى به عن ملازمة تلك الخصلة القبيحة، أى لا تفارقها، كما لا تفارق الحمامة طوقها. وأخرق من حمامة[4] ، لأنها لا تحكم عشها، فإذا هبت ريح كان ما يكسر منه أكثر مما يسلم.

وفيه قال ابن الأبرص[5]: (من مجزوء الكامل).

عَيّوا بأمرهمُ كما عَيّت ببيضتها الحَمامةْ
جعلتْ لها عَودَيْن من نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامهْ[6]

ومن خواصه: أن المَجدور وصاحب الفالج، أو السبات، أو السكته، إذا سكن فى بيت هى فيه، برئ، وهذه الخاصية عجيبة. وقيل إن مساكنته تدفع الطاعون. ودمه حار ينفع جراحة العين والغشاوة،

---

(١) المثل فى الميدانى ١/ ٨٧، المستقصى ١/ ٩، الحيوان ٣/ ١٩٢، نثر الدر٦/ ٢٠٥.
(٢) المثل فى الميدانى ١/ ٨٧، المستقصى ١/ ٨، نثر الدر٦/ ٢٠٥.
(٣) المثل فى الميدانى ١/ ١٤٥، المستقصى ٢/ ٣٠، نثر الدر ٦/ ٢١٢.
(٤) المثل فى الميدانى ١/ ٢٥٥، المتقصى ١/ ٩٩، الحيوان ٣/ ١٨٩، نثر الدر ٦/ ٢٠٦، عيون الأخبار ٤/ ٧٢.
(٥) بنيد بن الأبرص الشاعر، أمير كندة، والبيتان فى ديوانه ١٢٦ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م عيون الأخبار ٤/ ٧٢، المعانى الكبير ٣٥٩، فصل المقال ٤١٧.
وفى الديوان: برحت بنو أسد كما برحت....
(٦) الثمام: شجر جبلى تتخذ منه القسى. الثمامة: واحدة الثمام وهو نبت ضعيف لا يطول.

ويقطع الرعاف الذى من حيث الدماغ، طلاءً على الجبين. وإن طلى به وهو حار شق الرأس الواصل للعظم، نفعه. ولحمه كله حار يابس، والبرّى رطوبته فضيلة، وحرارته ظاهرة. والأهلىّ أكثر رطوبة فضلية منه. ولحمه ينفع الكلى، ويزيد فى المنى والدم. وإذا بقر بطن فراخها، ووضع على نهش الأفعى ولسع العقرب، نفع. وشحمه يذهب الخدوش وآثارها. وإن أحرق رأسه مع ريشه وسحق، نفع اكتحالا من ظلمة البصر، والغشاوة. وزبله حار يابس، ينفع الورم الصلب ضماداً إذا خلط بدقيق شعير. وإن خلط بخل ووضع على الخنازير، أبرأ خللها. وإن خلط بعسل وبذر كتان فجر الورم الصلب، وقلع القروح الحادثة من النار الفارسية، وإن أضيف إليه قطران وسحق حتى صار مرهما، ووضع على البرص، نفعه. وإن طبخ فى ماء وجلس فيه من به عسر بول، نفعه. وإن طلى به الشعفة نفعها. وإن طلى به مع خل على الاستسقاء، نفعه. وإن شرب درهمين من زبل حمام أحمر، مع ثلاثة دراهم دارصينى نفع الحصاة. وإن طبخت بحصرم أو خلّ، وشرب قبله لبّ خيار، وبعده هندباء[1]: نفع المحرور. وإن أحرق ريشه بمثله ملح، ومثله دقيق، وطحن وأكل، أسهل كيموسا غليظا، ونفع الاستسقاء. وإن أكل طفل بيضه بعسل، نطق سريعا. وإن دلك به لسانه أورثه الفصاحة. وشربه نيئا يزيل خشونة الصدر ويحصفه. ومرارته تزيل البياض، وتمنع نزول الماء كحلاً. وآكل قانصته يفتت الحصى. وإدمان أكله يصدع المحرور، ويحرق الدم، ويورث الجذام.

---

(١) انظر ابن البيطار، ٤/١٨٩. وهو بقل زراعى من المركبات اللّسينية، ينبت بريا ويدخ فى التوابل ويطبخ أيضا.

الحُمّر:

بضم فتشديد. ضرب من الطير كالعصفور[2].

وحكمه: الحل.

وخواصه: تأتى فى العصفور إن شاء الله.

قال بعضهم[3]: (من الكامل).

قد كنتُ أحسِبُكم أسود خَفِيةٍ فإذا لِصَافِ تبيض فيها الحُمّرُ

وقال آخر: (من الرجز).

وحُمّرَاتٌ شُرْبُهنّ غِبُّ إذا غَفِلْتُ غَفْلَةً تعبُّ[1]

---

(١) وعلى اسمه سمى وفاء بن الأشعر وكان من خطباء العرب، فقيل له: ابن لسان الحمرة، ضرب به المثل لفصاحته وطول عمره.

(٢) نسب اللسان (حمر) البيت إلى أبى المهوش الأسدى فى هجاء تميم، يصفهم بالجُبن.

(٣) فى اللسان: قدم البيت الثانى ونسب الأبيات إلى إنشاد الهلالى الكلابى.